صدودكم انفسكم ومنعكم غيركم بايمانكم الفاجرة ثم بهذا الافساد لاخفا الحق
عن سبيل الله اي دينه وذلك ان من نقض العهد سهل على غيره طرق نقض
العهد فيستن به ولكم مع ذلك عذاب عظيم اي ثابت غير منفك اذا متم على ذلك
ثم اكد سبحانه وتعالى هذا التحذير بقوله تعالى ولا تشتروا اي ولا تكلفوا
انفسكم لجاجا وتركا للنظر ان تاخذوا وتستبدلوا بعهد الله الذي له الكمال
كله ثمنا قليلا اي حطام الدنيا وان كنتم ترونه كثيرا ثم علل قلته بقوله تعالى
انما عند الله اي الذي له الجلال والاكرام من ثواب الدارين هو خير لكم
ولا يعدل عن الخير الى غيره الا لجوج ناقص العقل ثم شرط علم خيريتهم لكونهم
من ذوي العلم بقوله تعالى ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم
والتمييز فتعلمون افضل ما بين العوضين ثم بين ذلك بقوله ما عندكم اي من
متاع الدنيا ولذاتها ينفد اي يفنى فصاحبه منغص العيش اشد ما يكون
به اغتباطا بانقطاعه وما عند الله اي الذي له الامر كله من ثواب الاخرة
ونعيم الجنة باق اي دايم روي عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه
فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقرا ابن كثير باقي في الوقف بالياء والباقون
بغير ياء واما في الوصل فالجميع بالتنوين ولنجزين الذين صبروا على الوفا
بما يرضيه من الاوامر والنواهي في السراء والضراء اجرهم اي ثواب
اجرهم صبرهم باحسن ما كانوا يعملون اي بجزاء احسن من اعمالهم
او نجزيهم على احسن اعمالهم وذلك لان المومن قد ياتي بالمباحات وبالمندوبات
وبالواجبات ولا شك ان الواجبات والمندوبات مما يثاب على فعلها
لا فعل المباحات وقرا ابن كثير وعاصم بالنون قبل الجيم اي ولنجزين نحن
والباقون بالياء اي وليجزين الله ثم انه تعالى رغب المومنين في الاتيان بكل
ما كان من شرايع الاسلام بقوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن بتخفيف[2]
اذ لا اعتداد باعمال الكفار في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها
باستحقاق العذاب فان قيل من عمل صالحا يفيد العموم فما فايدة ذكر وانثى
اجيب بانه ذكره دفعا للتخصيص باحد الفريقين واختلف في قوله
تعالى فلنحيينه حياة طيبة فقال سعيد بن جبير وعطاء هي الرزق
الحلال وقال مقاتل هي العيش في الطاعة وقال الحسن هي القناعة
لان عيش المومن في الدنيا وان كان فقيرا اطيب من عيش الكافر وان كان
غنيا لان المومن لما علم ان رزقه من عند الله وذلك بتقديره وتدبيره تعالى
وعرف ان الله محسن كريم حكيم يضع الاشيا في محلها فكان المومن
راضيا بقضا الله وبما قدر له وعرفه اياه وعلم ان مصلحته في ذلك
القدر الذي رزقه فاستراحت نفسه من الكدر والحرص واما الكافر والجاهل

بهذه

بهذه الاصول الحرص على طلب الرزق فيكون ابدا في حزن وتعب وعنا وحرص
وكد في الدنيا ولا ينال من الرزق الا ما قدر له فظهر بهذا ان عيش المومن القنوع
اطيب من غيره وقال السدي الحياة الطيبة انما تحصل في القبر لان المومن
يستريح بالموت من كدر الدنيا وتعبها وقال مجاهد وقتادة هي الجنة لانها
حياة بلا موت وغنا بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلك وسعادة بلا شقا
فاثبت بهذا ان الحياة الطيبة لا تكون الا في الجنة ولا مانع من ان المومن الكامل
يحصل جميع ذلك ثم ان الله تعالى ختم الاية بقوله تعالى ولنجزينهم اجرهم
اي في الدنيا والاخرة باحسن ما كانوا يعملون اي من الطاعة وقد سبق تفسيره
ولما قال تعالى ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ارشد به الى العمل
الذي به يخلص اعماله من الوسواس بقوله تعالى فاذا قرات القران اي اردت
قراءته فاستعذ بالله اي ان شئت جهرا وان شئت سرا قال الشافعي رضي
الله تعالى عنه والاسرار اولى في الصلاة وفي قوله يجهر كما يفعل خارج الصلاة
اي سل الله الذي له الكمال كله ان يعيذك من الشيطان اي المحترق باللعنة
الرجيم اي المطرود عن الرحمة من ان يصدك بوساوسه عن اتباعه
ويدخل في ذلك جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على القا الوسوسة
ذة في قلوب بني ادم باقدار الله تعالى على ذلك وقيل المراد ابليس خاصة والاستعاذة
بالله هي الاعتصام به والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من
[2] القرآة امته وظاهر الاية وجوب الاستعاذة واليه ذهب عطا سوا كانت في الصلاة
ام في غيرها واتفق ساير الفقها على انها في الصلاة سنة وغيرها والصارف
لهذا الامر عن الوجوب احاديث كثيرة منها القراة بدون ذكر تعوذ كحديث البخاري
وغيره عن ابي سعيد بن المعلى رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما منعك ان تجيبني قال كنت اصلي قال الم يقل الله استجيبوا لله
وللرسول اذا دعاكم ثم قال لاعلمنك سورة هي اعظم سورة في القران الحمد لله
رب العالمين وفي رواية الموطا تدل على ان الاستعاذة بعد القراة واليه ذهب
جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول ابي هريرة واليه ذهب مالك وداود
الظاهري قالوا لان قاري القران يستحق ثوابا عظيما وربما حصل الوسواس
في قلب القاري هل حصل له ذلك الثواب اولا فاذا استعاذ بعد القراءة
اندفعت تلك الوساوس وبقي الثواب مخلصا والذي ذهب اليه الاكثرون
من الصحابة والتابعين وما بعدهم من الايمة وفقها الامصار ان الاستعاذة
مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الاية اذا اردت ان تقرا القران فاستعذ
بالله وتبعهم على ذلك فلهذا قدرت ذلك في الاية الكريمة ومثل ذلك اذا قمتم
الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ومثله من الكلام اذا اكلت فسم
اي اذا اردت ان تاكل فقل بسم الله الرحمن الرحيم واذا سافرت

Copyright King Saud University